"BAŞKALARINI DÜŞÜN" ŞİİRİ METİN ÇALIŞMASI

قصيدة "فَكِّرْ بِغَيْرِكَ" قِرَاءَةٌ نَصِّيَّةٌ

Mahmud QADDOM*

Özet

Bu araştırma merhum Filistin şairi Mahmut Derviş'e ait "Başkasını Düşün" şiirinin metin çalışmasını sunmaktadır. Bu çalışma kapsamında, kasidenin başlığından başlayıp detaylı ikilemelerden geçerek kasidenin sonuna varana kadar metnin bütün ve kısmi göstergeleri ele alınmıştır. Araştırma söz konusu şiirde yeme, içme, barınma ve konuşma gibi insan haklarının incelendiğini ortaya koymaktadır. Kaside başlığında geçen "Başkasını Düşün" ifadesi, bir çok metinsel fonksiyon içermektedir. Metnin bütün sözcüklerinin açık ve net olması şiirin bütünlüğünün sağlanması ve metinsel yoğunlaşması bunlardan bazılarıdır. Buna ilaveten kasidede ikinci tekil şahıs zamiri olan "Sen"in metindeki fonksiyonuna da değinilmiştir. Kasidenin her bir satırında bu zamirle muhatap edilen şahıs değişmektedir. Aynı zamanda şair bu kaside aracılığıyla özellikle Filistin halkının ve zorla göç ettirilen insanların insani haklarına dair yoğun mesajlar göndermiştir.

Anahtar Kelimeler: Mahmut Derviş, Filistin, Başkasını Düşün, Metin Çalışması

Abstract

This research presents a textual training for the poem, "Think of Others" composed by the late Palestinian poet Mahmoud Darwish. In this study, starting from title of the ode and through the detailed binary envisaging partial and the whole textual indicators are discussed till the end of the ode. The research reveals investigation of the human rights such as food, water, shelter and speech. Expression passing in the title "Think of Others" had fulfilled various textual functions. Openness of

vocabulary, wholeness and the textual condensation are some of them. In addition this research notes meaning of the second-person singular pronoun "You" in the poem for the meaning intended in each line of the poem is different. As well, via this ode the poet introduces condensed messages about the Palestinian people rights in particular and the immigrants rights in general.

Key Words: Mahmoud Darwish, Palestine, Think of Others, Textual Training.

ملخّص

يُقدِّمُ هذَا البَحْثُ دراسةً نصيَّةً لقصيدةِ "فَكِّرْ بِغَيْرِكَ" للشاعرِ الفلسطِينيِّ الراحلِ محمود درويش، من خلالِ تفكيك النصّ والبحث عن دلالاته الجزئيّة والكليّة، ابتداءً بعنوان النصّ مروراً بثنائيَّاته التفصيليّة، وصولاً إلى الجزء الأخير في القصيدة. وبيّنَ البحثُ أنَّ القصيدةَ تتمحورُ حولَ حقوق الإنسان الأساسيّة: الطعام والشراب والمأوى والكلام، وأنّ الجملة الابتدائيّة في النص "فَكِّرْ بِغَيْرِكَ" أدّتْ وظائفَ نصيّةً متعدّدة منها: الانفتاح على مفردات النص كاملاً، والإمساك بخيوط القصيدة، والتكثيف النصّيّ. وأشار البحث إلى الوظائف النصيّة التي يؤدّيها ضمير المخاطَب "أنتَ" في القصيدة؛ إذ يختلف المعنى المقصود من هذا الضمير في كلّ سطر من أسطر النص، كما أنّ الشاعر استطاع عبر هذه القصيدة أن يقدّم رسائل مكثّفة عن حقوق الشعب الفلسطيني بشكل خاص، وحقوق المهجّرين بشكل عام.

كلمات مفتاحيّة: محمود درويش، فلسطين، فكّر بغيرك، قراءة نصيّة

فتعد قصيدة "فَكِّرْ بِغَيْرِك"[1] للشاعر الفلسطيني محمود درويش [1941-2008م] إحدى أبرز قصائد الشاعر درويش، وهي على قِصَرِها تتميّز بما يأتي:

1- القصيدة تعبّر عن حقوق الشعب الفلسطيني بشكل خاص، وحقوق اللاجئين والمهجّرين بشكل عام، وما يُعانونه من مآسٍ وويلات.

2- القصيدة مع سهولة ألفاظها، وسلاسة تركيبها، تحمل معاني جمة، وتصلح للتدريس والتعليم.

[1] ينظر: محمود درويش [1941-2008م]، ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" الصادر عن دار الشروق/ رام الله، 2005

3- القصيدة تؤدّي جانباً تربوياً وسلوكيّاً مهماً يتناسب مع دور طلبة كليات العلوم الإسلاميّة؛ إذ إن القصيدة تدعو للتفكير بالآخر والوقوف معه، وطلبة العلوم الإسلامية هم الدعاة والإئمة والوعّاظ في المستقبل الذين يحملون الآخر في قلوبهم وعقولهم.

القصيدة الواقعة في 14 سطراً تمثّل ثنائيّاتٍ غاية في الأهميّة، هي:

الشَّبع والجوع

الحرب والسلام

العطش والارتواء

المأوى والتشرّد

بل إنّ الناظر في هذه الثنائيّات يجدها تمثّل أسس الحياة الكريمة التي يطلبها أي إنسان على هذه الأرض؛ فالشاعر يدعونا لأن نفكر بمن لا يجدون الماء و"يرضعون الغمامْ" ونحن نسدد فواتير المياه، ويجب علينا أن لا ننسى "شعب الخيام" ونحن نؤوب إلى بيوتنا، أو حين نضع أجسامنا في الفراش ونحلم بالأحلام السعيدة ونجمع الكواكب، "فثمة من لم يجد حيزا للمنام".[2]

فها هو ذا الشاعر المحرض دوماً يدغدغ مشاعر المواطن العربي، المنعم بالرفاهية، بعيداً عن أصوات القنابل والرصاص وفوهات البنادق، ويحرضه أن يشارك مواطنه الفلسطيني همومه، ويتقاسم معه قدراً من المعاناة اليومية، لا أن يكتفي بترديد التعاطف والمشاركة الوجدانية فقط، والقصيدة رغم قصرها، إلا أنّها اختزلت الحقوق الرئيسة التي يحلم بها المواطن الفلسطيني، مثل حقوق الطعام، والشراب، والبيت، بل يتجاوز محمود درويش خطوط قصيدته، لينبه على ما امتلكته الأمة العربية من جماليات لغوية، كالاستعارات والتشبيهات والكناية والمجاز المرسل والفصل والوصل، وكل الأبواب البلاغية التي امتلأت بها المؤلفات العربية، ورغم ذلك فإن الطفل والرجل والمرأة والشيخ بالأراضي الفلسطينية المحتلة قد فقدوا جميعاً حقهم في الكلام[3].

---

[2] ينظر: فراس حج محمد: محمود درويش: ليتني شمعة في الظلام، مقال إلكتروني على موقع: http://www.alarab.co.uk/?p=18638

[3] ينظر: بليغ حمدي إسماعيل، الغائب حين يصير أكثر حضوراً: وجوه محمود درويش الشعرية، مجلة الرافد الإلكترونية: http://www.arrafid.ae/196_p14.html

ويُطِلّ الشاعر في هذه القصيدة بصورة المُعلِّم أو المُرشِد الذي يُكثِر مِن صيغة الأمر (فكِّرْ بِغيركَ)، وأستنبطُ من هذه الجُملة أمْرَيْن:

أولا: اختار درويش فعل الأمر "فكر" دون غيره من الأفعال، وهو اختيار واعٍ ومدروس إذ إنّ جذر هذا الفعل في اللغة يرجع إلى معنى: تردُّدُ القَلْب في الشَّيء. قال ابن فارس في المقاييس: (يقال تفكّرَ إذا ردَّدَ قلبه معتبِرا)، وجاء في لسان العرب : الفكر هو التأمل وإعمال الخاطر في الشيء. والفكر: النظر فيما وراء الشيء، والتفكير هو الذي يميز الإنسان عن سائر الكائنات التي خلقها الله سبحانه وتعالى. بل إن قدرة الإنسان على التفكير هي التي جعلته :أهلاً للتكليف بالعبادات، وتحمل مسؤولية الاختيار والإرادة، وهذا هو ما جعله أهلاً للخلافة في الأرض[4].

والتفكر في أي موضوع من المواضيع يعني إعمال الفكر إعمالا واسعا وعميقا ومنظما. وهو زناد القلب، وغذاء الروح، وروح المعرفة، ودم الحياة الإسلامية وروحها وضياؤها.

ثانياً: اختار درويش أن يكون هذا التفكير بالإنسان وليس بأي شيء آخر، فلم يَقُل مثلاً على المستوى الشخصي (فكّر بعلمك) أو (فكّر بعملك) أو (فكّر ببيتك)... وإنّما قال (فكّر بغيرك) وهذا يُذكّرنا بقول النبي الكريم صلى الله عليه وسلم "لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبّ لأخيه ما يُحِبُّ لنفسه".

ولعلّ درويش في هذه القصيدة المتفردة، يحاول أن يرسم لوحة تضامنية تجسد مشاعر المواطن العربي بشكل خاص والإنسان بشكل عام تجاه أخيه المفترش الأرض، دونما غطاء، بل هو يسعى إلى أن يعري واقعاً ممتقعاً، يمارس فيه المواطن البعيد عن سطوة الاحتلال، كل أنواع رفاهية العيش، وهنا لا يكتفي محمود درويش بدور المحرض فقط، بل يثير حفيظة ذلك المواطن تجاه ما يعانيه الفلسطيني خاصة المغتصبة حقوقه وأرضه وعرضه، بل وربما أحلامه أيضاً، وما يعانيه المهجّرون عامّة[5].

يبدأ الشاعر نصّه بالقول:

---

[4] ينظر: سعيد بن صالح الرقب، أسس التفكير الايجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء الكتاب والسنة النبوية. كلية التربية، جامعة الباحة، 2008، ص67.

[5] ينظر: بليغ حمدي إسماعيل، الغائب حين يصير أكثر حضوراً: وجوه محمود درويش الشعرية، مجلة الرافد الإلكترونية: http://www.arrafid.ae/196_p14.html

وأنت تُعدُّ فطورك، فكر بغيرك

[لا تنس قوت الحمام]

فالآخر في قول الشاعر ((فَكِّرْ بِغيركَ)) يُحدّده السياق النصّي في السطر التالي ليمثّل (قوت الحمام) أو يُمثّل الجوع مقابل الشبع أو الفَقْر مُقابل الغِنى.

فالشاعر يخاطب فئة من الناس قائلا: أنت أيها الإنسان الذي يفكّر بنفسه ومصلحته الذاتية، وفرديته المطلقة فقط، يقول له الشاعر: أنت لست وحيدا في هذا الكون؛ فثمّة من يحتاج للاهتمام والعناية والرعاية، الحياة ليست مقتصرة عليك وحدَك، لذلك عليك التفكير بالآخرين، بالناس الضعفاء الذين هم بحاجة للرعاية والاهتمام، وقد استخدم الشاعر هنا، ضمير المخاطب (أنت) للمفرد القريب، وهو بذلك يخصص أفراد تلك الفئة، ويشير إلى وجود فروق بين أفراد الفئة الأولى، أي إنّ درجات الطمع والجشع تختلف بين عناصر تلك الفئة من شخص لآخر، وهذا بالطبع شأن المجتمع؛ إذ لا يتساوى الناس بالقيم الاجتماعية بنفس الدرجة، كما أن الشاعر يستخدم الفعل المضارع (تُعِدُّ) الدال على الاستمرارية والثبات للتعبير عن فكرته وطرح ما يريد منها للقارئ، فهو، لا يخاطب الإنسان كإنسان هلامي عائم، وإنما يخاطب فئة معينة من الناس التي تغلفها الأنانية وحب الذات، كما اختار وجبة الطعام الأهم لكل إنسان وهي وجبة الإفطار، والتي تعد وجبة رئيسية لكل فرد، لتكون منطلقه الذي ينطلق منه إلى فضاء العمل والإنتاج، واستخدم فيه الشاعر لغة ساحرة خفيفة الظل على نفس القارئ، فاختار "الحمام"، ذلك الطائر المسالم الذي يرمز من خلاله إلى طرف المعادلة الآخر، وهو الإنسان الضعيف، لتكتمل الموازنة بين فئتين من الناس، تلك الفئة الأنانيّة الجَشِعَة وفئة المستضعفين ليقول للفئة الأولى أنتم لستم وحدكم في هذا الكون، فلا تتجبروا ولا تستأثروا خيرات الدنيا لأنفسكم وتنسوا المستضعفين في الأرض بغير حتى الفُتات[6].

ومن ذلك أيضاً:

وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك

[لا تنس من يطلبون السلام]

[6] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك: دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

فالآخر في قول درويش((فَكِّرْ بِغيركَ)) ليس الآخر بشكل عام وإنّما الآخر الذي يُحدّده السياق النصّي في السطر التالي ليمثّل (مَن يطلبون السلام) في مقابل الحرب أو القويّ المُدجّج بالعَدَد والعُدَد والعَتَاد مقابل الضعيف الأعزل.

والشاعر إذ ينصّ على هذا المشهد يُذكِّرني بوصايا الإسلام عند توجيه الجيوش التي تنصّ على أن:"لا تقتلوا صبياً ولا امرأة ولا شيخاً كبيراً ولا مريضاً ولا راهباً ولا تقطعوا مُثمراً ولا تخربوا عامراً ولا تذبحوا بعيراً ولا بقرة إلا لمأكل ولا تُغرقوا نحلاً ولا تحرقوه".

فليس بطلاً مَن يُشعل حرباً ويُدمر بلداً كاملاً، إنّما البطولة أن تكون إنسانياً وأنت تخوض هذه الحرب، وتفكر بأن ثمّةَ أناساً "يطلبون السلامْ"، عندها تدرك معنى وجودك الإنساني أيها "الأنت" المُستَتر في خطاب الشاعر (فَكِّرْ) !!

ويعبر الشاعر عن استيائه واستنكاره من المسرفين، في قوله:

وأنت تسدد فاتورة الماء، فكّر بغيرك

[من يرضعون الغمام]

وهنا يقارن مَن يسرف في الماء، بمن هم لا يجدون قطرة ماء تشفي ظمأهم، فها هو ذا يخاطب الفئة المسرفة، بأن يفكروا ويعودوا عن عادتهم السيئة في الإسراف بكل شيء لأنهم ليسوا وحدهم على هذه الأرض، فهو يستخدم الفعل المضارع (يرضعون) وهذا التعبير يتناسب بشكل لا جدال فيه مع الفكرة الأساسية التي يريدها الشاعر لأن الطفل الرضيع يحاول الحصول على قطرات الحليب قطرة قطرة، فثمة مَن لم يجد من الماء ما يروي ظمأه، وهذا بعكس الإسراف تماما، فالناس من فيهم المسرف، الجاهل، الأناني، المتغطرس عن حقوق الآخرين، لأن ما يرميه من طعام أو شراب أو آخره، فإنه يكفي لسد حاجات الكثيرين من بني البشر[7].

وأنت تعود إلى البيت، بيتك، فكّر بغيرك

[لا تنس شعب الخيام]

يُعَبِّر الشاعر عن غضبه الدفين بين كلمات ليست بريئة كما يبدو للوهلة الأولى هي كلمات معبرة عن سخط الشاعر من تجاهل حقوق اللاجئين الفلسطينيين، بعد أن طال مكوثهم في تلك المخيمات، وكادت قضيتهم تُنسى مع مرور الزمان، ولذلك

[7] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك: دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

فالشاعر يخاطب أصحاب القرار ويدعوهم للوقوف وقفة جادة مع قضية اللاجئين، ويحثهم على القيام بواجباتهم الأخلاقية قبل كل شيء، فهو يأمرهم بتذكر أولئك الناس باستمرار (وأنت تعود إلى البيت، بيتك، فكر بغيرك)، وأن تكون قضيتهم من أولويات القضايا البحثية، فهي تعني ملايين الناس الذين فقدوا كل شيء ليعيشوا في تلك الخيام البائسة، المنسية[8].

ويشير درويش إلى حقوق المشرّدين، الذين لا مأوى لهم نتيجة الحروب والدمار وهدم البيوت، يقول شاعرنا في ذلك:

وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكرّ بغيرك

[ثمّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام]

ويطالبنا هنا أن نتذكرهم وأن لا نركن على توفر الأمان لأطفالنا وأن ننسى أطفال من شُردوا وحُرموا السكن، فهم أيضا بحاجة للطمأنينة والسلام، ولا يريدون إلا حيزا بسيطا على قدر قاماتهم ليسكنوا فيه[9].

وينتقل بنا الشاعر بسلاسة إلى الذين تتوفر لديهم كل أسباب التعبير عن النفس والأفكار ليقول لهم: مهلاً، هناك من لا يمكنهم الكلام ولم يعد بمقدورهم التعبير عن النفس مثلكم، وذلك لأسباب عديدة؛ ربّما لأنّ الدكتاتوريات الطاغية على اختلاف أنواعها تمنع الكثيرين من الكلام وتغتال قلوبهم وعقولهم وألسنتهم[10]، وتعرّضهم للاعتقال السياسي وكَمّ الأفواه، أو الذين فقدوا ولم يعودوا موجودين بيننا، فـ"أنت" أيها القادر على التعبير لماذا لا تكون ممثلا عنهم، تشرح قضاياهم، وتنقل همومهم، وآلامهم، من خلال قلمك أيها الشاعر أو الكاتب، ومن خلال ريشة فنان، أو من خلال لحن من الألحان، يريد الشاعر أن يقول لكل مبدع مهما اختلفت أدواته أن يستخدم إبداعه في خدمة الإنسانية والمجتمع؛ فالإبداع اذا لم يخدم قضية إنسانية فهو لا يعد إبداعاً بل عبثا لا حاجة لنا به[11].

---

[8] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك: دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

[9] نظر: سمير الجندي، فكر بغيرك: دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

[10] ينظر: فراس حج محمد: محمود درويش: ليتني شمعة في الظلام، مقال إلكتروني على موقع: http://www.alarab.co.uk/?p=18638

[11] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

وعلى المبدع أيضاً أن يستمع للآخرين فهم بشر ولهم حق التعبير والكلام، وإن لم يستطيعوا هم أن يكتبوا، فلا تتجاوز عنهم وتهملهم، فلتكتب عنهم ولا تظلَّ هائما في استعاراتك ناسيا همّ الآخرين، عليك أن تكون إنسانيا بكتاباتك، وتذكر مهمتك التي يلخّصها شاعرنا للمبدع بقوله: **وأنت تحرر نفسك بالاستعارات، فكر بغيرك**

[من فقدوا حقهم بالكلام]

ويخاطب عامة الناس العاديين الذين يقفون هم وضمائرهم مع كل حدث أو قضية، يحزنون، يتألمون، دون أن يفعلوا شيئا غير الحزن والألم، هم أيضا سلبيون، لأنهم يذرفون الدمع وقبل أن يجف عن وجناتهم ينسون لماذا يبكون، هم أناس طيبون، ولكنهم سلبيون إلى أبعد حد، فالمثل يقول" بدلا من أن تلعن الظلام، أضئ شمعة" فقد وظف الشاعر هذا المثل توظيفا جيدا خدم فكرته وارتقى بها، ليقول لهؤلاء القوم، كفى، فلا تكونوا سلبيين، بل اعملوا لخدمة ما تؤمنون به ولا تقفوا مكتوفي الأيدي[12]. يقول:

وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكِّر بنفسك

[قل: ليتني شمعة في الظلام...]

إذ يختم درويش قصيدته مذكرا هذا المخاطب أن يفكر بنفسه وهو يفكر بالآخرين البعيدين، ولكن يريد له أن لا يفكر بأنانية وفردية "فكر بنفسك، قل: ليتني شمعة في الظلامْ"، إن هذه هي مهمتك أيها الإنسان أن تكون شمعة في هذا الظلام، لتكون نفسك وغيرك، فلا معنى لوجودك إن كنت وحيدا، فلتتكامل مع غيرك ولتكن لهم، ليكونوا لك[13].

نلاحظ أن الشاعر قد كرّر بعض الألفاظ في كلّ الأبيات، وخاصة ضمير المخاطَب (وأنت) وجملة، (فكّر بغيرك) فقد كرّر الكلمة (وأنت) سبع مرات، أي في جميع أبيات القصيدة، وكرر جملة (فكر بغيرك) ستَّ مرات أي في جميع أبيات القصيدة ما عدا البيت الأخير، أما ضمير المخاطَب فبرغم أنّه كرر هذا الضمير في كل بيت إلا أن دلالاته تختلف من بيت إلى آخر فقد استخدمه للأناني والمسرف والذي يعيش براحة

[12] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

[13] ينظر: فراس حج محمد: محمود درويش: ليتني شمعة في الظلام، مقال إلكتروني على موقع: http://www.alarab.co.uk/?p=18638

واطمئنان، كما استخدمه لهادئ البال، والمبدع والفنان كما استعمله للإنسان البسيط، فقد وظّف هذا الضمير ليخدم الفكرة ويتلاءم مع المعنى بكل براعة واقتدار[14].

أما تكرار (فكر بغيرك) فقد استخدم الجملة عنوانا للقصيدة، وهي محور الفكرة العامة التي أراد الشاعر إرسالها للمتلقي، فهي جملة فعلية، من فعل وفاعل ومفعول به، والفعل هو فعل الأمر، الذي يجعل من الشاعر واعظا ومصلحا اجتماعيا، يتمنى أن يكون المجتمع نقيا طاهرا لا عيب فيه ولا فساد، فكان تكرار الجملة في كل بيت من أبيات القصيدة تقريبا بمثابة، ناقوس يقرع به آذان الذين صُمّت آذانهم عن الحق والواجب الملقى عليهم، فجاءت دقاته بمثابة الصرخة التي توقظ ضمائرهم الغائبة[15].

ويختم درويش قصيدته مذكراً هذا المخاطب أن يُفكّر بنفسه وهو يفكر بالآخرين البعيدين، ولكن يريد له أن لا يفكر بأنانية وفردية، فقال: "فكر بنفسك، قل: ليتني شمعة في الظلامْ"، إن هذه هي مهمتك أيها الإنسان أن تكون شمعة في هذا الظلام، لتكون نفسك وآخرك، فلا معنى لوجودك إن كنت وحيداً، فلتتكامل مع آخرك ولتكن لهم، ليكونوا لك.

وحتى هذه المرة الوحيدة التي اختار الشاعر محمود درويش أن يقول فيها "فكر بنفسك" فقد عاجلها بنفس تلك الرغبة في الإيثار والتعاطف ".. قل: ليتني شمعة في الظلام".

لقد ترك محمود درويش هذه الشمعة المضيئة دائما في نفوسنا وبين جوانحنا نمد أيدينا إليها فنستمد من حرارتها دفئاً ومن نورها نوراً علي نور[16].

أضف إلى ذلك استعمال الشاعر لعلامة ترقيمية تثير القارئ بصريًا و شعوريا، إنها علامة القوسين المعقوفين [ ] التي تحقق الاعتراض، بإعطاء أهمية قصوى للجملة بين القوسين، و تركيز المعنى فيها باعتبارها المحرك الرئيس للمفارقة.و مما يزيد المفارقة التكرارية وضوحا نهاية النص، حيث يتآخر مطلب الشاعر الذي ألحَّ عليه ست مرات من (فكِّر بغيرك) إلى (فكِّر بنفسك)، و تنفجر المفارقة أكثر حين

[14] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

[15] ينظر: سمير الجندي، فكر بغيرك دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

[16] ينظر عزّة بدر، في ذكرى محمود درويش "وطن في ذكرى فكّر بغيرك" مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.dar.akhbarelyom.com/issuse/detailze.asp?mag=a&field=news&id=6906

يجعل الشاعر التفكير بالنفس هو في حقيقته تفكير بالآخر ليكسر بذلك أفق توقع القارئ مرتين بكسره لبنية التكرار[17].

نصٌ ينتظم دون عناء في صيرورةِ إعادة تشكيل الوعي وإعماره، وفي هندسة الروح والمعاني والأزمنة والجمال والذائقة، وتوليد القوة والقدرة من العذاب والخيبة والانكسار والوعد، ولطالما شد شعبه –الذي حولته ريح عاتية لعهن منفوش– لقرون يابسة ليقف عليها في طريقه لاسترداد معناه، لا، لم يشهد تاريخُ قولنا المعاصر نصوصاً معمارية، أعادت ترتيبَ الروحِ والوعيِ بجمالٍ موجوع مثلما حاولت نصوص درويش[18].

عاشق أفنى العمر في خرق القواعد، امتد من حيفا إلى حلب وبيروت وقرطاج وأندلس وشام وما تيسر من مدائن شرق وغرب، وفي أرض المعاني المفتوحة على كل مصراع وكأنّه يقول: لم نكن خائفين من التهجير؛ فقد تركنا طفولتنا تلهو في شوارع المكان وبين الأزقة وعلى أشجار البرتقال وكرمات العنب، وما دامت طفولتنا في المكان، فسوف نعود... عندما لفظتنا الشاحنات إلى المجهول، راح الغياب في العتمة يجمع أشياءه ويدقّ لنا أوتاداً لخيام كثيرة سموها فيما بعد "مُخَيَّمات" وصرنا "لاجئين"[19].

مات درويش بعد أن رسم للشعر سقفاً عالياً وشفافاً سقط دونه كثيرون رمياً بالكلام، وبعد أن حولنا سبابا لنصوص تأخذنا في المدى لتعيد تشكيلنا من جديد... وكان محمود درويش سيد النشيد العذب، نشيد إستولده بروح سومرية من نفس الوجع والعذاب. زرع حياتنا بالفواصل وبالحروف وبالقوافي واودعنا بعدتها، قوافٍ تكفي لانتصار "أمتين على شهواتها وعلى الغزاة". وكان نصراً كامنا في وجه المآسي، نصرٌ يبشرنا بأنه على وشك الوصول إذا شئنا، ولطالما صعد بنا من الركام نحو أفق مختلف. ومضى في ومع "الصاعدين إلى حتفهم باسمين". وصَفَّى حسابه مع الراهن والعجز والخيبة بقسوة الشعر،

---

[17] ينظر: نوال بن صالح، دهشة التكرار المفارق في قصيدة "فكر بغيرك" لمحمود درويش، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.startimes.com/f.aspx?t=32817329

[18] ينظر: محمد نعيم فرحات، محمود درويش: رسم لأبعاد في صورة الشاعر مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=1054

[19] ينظر: نعيم عودة، حروف تذوب في خبايا الزمن، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=1049

واتجه نحو غده المنشود من صلب أمسه البسيط. وحاصر القادمين بإغراء العودة لأرض "فيها ما يستحق الحياة"[20].

نص القصيدة:

فَكِّر بغيرك / BAŞKALARINI DÜŞÜN

وأنت تُعدُّ فطورك، فكر بغيرك

Hazırlarken kahvaltını düşün başkalarını

[لا تنس قوت الحمام]

Unutma asla! yem vermeyi güvercinlere

وأنت تخوض حروبك، فكر بغيرك

Savaşırken daima düşün başkalarını

[لا تنس من يطلبون السلام]

Unutma asla barış isteyenleri

وأنت تسدد فاتورة الماء، فكّر بغيرك

Su faturanı öderken sen düşün başkalarını

[من يرضعون الغمام]

Bulutlardan su içenleri…

وأنت تعود إلى البيت، بيتك، فكّر بغيرك

Eve dönerken sen, kendi evine, düşün başkalarını

[لا تنس شعب الخيام]

Asla unutma çadırdakileri

وأنت تنام وتحصي الكواكب، فكرِّ بغيرك

Yıldızları sayıp uyurken sen, düşün başkalarını

ثمّةَ مَنْ لم يجد حيّزاً للمنام

[20] ينظر: محمد نعيم فرحات، محمود درويش: رسم لأبعاد في صورة الشاعر مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=1054

Yatacak yeri olmayanları

وأنت تحرر نفسك بالاستعارات، فكر بغيرك

Kendini imgelerle özgürleştirirken sen, düşün başkalarını

[من فقدوا حقهم بالكلام]

Konuşma hakkı alınanları

وأنت تفكر بالآخرين البعيدين، فكِّر بنفسك

Uzaktaki ötekini düşünürken sen, düşün kendini

[قل: ليتني شمعة في الظلام]

Ve de ki: Keşke mum olsaydım karanlıklarda…

المراجع/ KAYNAKÇA

بليغ حمدي إسماعيل، الغائب حين يصير أكثر حضوراً: وجوه محمود درويش الشعرية، مجلة الرافد الإلكترونية: http://www.arrafid.ae/196_p14.html

سعيد بن صالح الرقب، أسس التفكير الايجابي وتطبيقاته تجاه الذات والمجتمع في ضوء الكتاب والسنة النبوية. كلية التربية، جامعة الباحة، 2008، ص67.

سمير الجندي، فكر بغيرك: دراسة أسلوبية، رابطة أدباء الشام الإلكترونية: http://www.odabasham.net/

عزّة بدر، في ذكرى محمود درويش "وطن في ذكرى فكّر بغيرك" مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.dar.akhbarelyom.com/issuse/detailze.asp?mag=a&field=news&id=6906

فراس حج محمد: محمود درويش: ليتني شمعة في الظلام، مقال إلكتروني على موقع: http://www.alarab.co.uk/?p=18638

محمد نعيم فرحات، محمود درويش: رسم لأبعاد في صورة الشاعر مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=1054

محمود درويش [1941-2008م]، ديوان "كزهر اللوز أو أبعد" الصادر عن دار الشروق/ رام الله، 2005.

نعيم عودة، حروف تذوب في خبايا الزمن، مقال منشور على الموقع الإلكتروني:
http://www.darwishfoundation.org/atemplate.php?id=1049
نوال بن صالح، دهشة التكرار المفارق في قصيدة "فكر بغيرك" لمحمود درويش، مقال منشور على الموقع الإلكتروني: http://www.startimes.com/f.aspx?t=32817329